Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 4, 2023

Deanship of Scientific Research

Orbits of Historical Characters in Walid Saif's Novel "The Fire and the Phoenix"

Razan Ibrahim *

Arabic Department, University of Petra, Amman, Jordan.

Received 5/1/2022
Revised: 21/5/2022
Accepted: 22/6/2022
Published: 30/7/2023

* *Corresponding author:*
razan_ibrahim@hotmail.com

Citation: Ibrahim, R. (2023). Orbits of Historical Characters in Walid Saif's Novel: The Fire and the Phoenix. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(4), 568–578.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i4.186

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aimed to trace the characters' actions and their transformations in Walid Seif's historical novel "The Fire and the Phoenix" in its two parts; the first is entitled "The Black Flags," which explores the demise of the Umayyad kingdom and the establishment of the state of Bani al-Abbas. The second part is titled "Saqr of Quraish," focusing on the restoration of the Umayyad state in Andalusia.

Methods: This study involved highlighting the functional roles of the novel's characters and their most decisive actions. It followed a narrative program that showcased the characters' will, duty, ability, knowledge, and their relationships with each other. The research adopted the new historical approach, a theoretical school with foundations in the concept of historical development and the mechanisms of interpreting and reading literary texts.

Results: The study found that the novelist was successful in internalizing the worlds of his characters, portraying their complex conflict dimensions and human transformations through their interaction with the complex circumstances surrounding them.

Conclusion: The study recommends the need of using the tools of new historicism in analyzing characters in historical novels provides new horizons in analysis and interpretation.

Keywords: Character, historical, Walid Saif, fire and the phoenix, interpretation.

مدارات الشخصيات التاريخية في رواية وليد سيف "النارِوالعنقاء"

رزان محمود إبراهيم*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة البترا، عمان، الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت هذه الدراسة إلى تتبع أثر الشخصية وتحولاتها في رواية وليد سيف التاريخية "النار والعنقاء" في جزأيها. الأول بعنوان "الرايات السوداء" وموضوعه تفاصيل زوال المملكة الأموية وإقامة دولة بني العباس. والثاني بعنوان "صقر قريش" وموضوعه إعادة الدولة الأموية في الأندلس.

المنهجية: تطلبت هذه الدراسة تسليط الضوء على الأدوار الوظيفية لشخصيات الرواية، وأهم أفعالهم، واتبعت برنامجًا سرديًا يُظهر إرادة الشخصية، وواجبها، وقدراتها، ومعرفتها، والعلاقات التي جمعت الشخصيات مع بعضها البعض. استخدم هذا البحث منهج التاريخانية الجديدة، وهي مدرسة نظرية لها أسسها حول مفهوم التطور التاريخي، وآليات تفسير وقراءة النصوص الأدبية.

النتائج: خلص هذا البحث إلى أن الروائي تمكن من استيعاب عوالم شخصياته وأبعادها الأخلاقية المعقدة وتحولاتها البشرية من خلال تفاعلها مع الظروف المعقدة المحيطة بها.

التوصيات: في ضوء نتائج الدراسة أوصت الدراسة باستثمار أدوات التأريخية الجديدة في قراءة الشخصيات في الرواية التاريخية، حيث توفر آفاقًا جديدة في التحليل والتفسير.

الكلمات الدالة: الشخصية، التاريخية، وليد سيف، النار والعنقاء، التأويل.

مقدمة

للشخصية الروائية في إطار البنية التخييلية التي تتحرك فيها مرجعها في العالم الواقعي، بمعنى أن هناك بالضرورة معادلا حقيقيا لها في الكون الواقعي، وأنها نتاج غير مفارق للواقع بكل تناقضاته ومفارقاته، فعلى الرغم من استناد الروائي إلى مرجعيات تاريخية في شخصياته، فإن هذا لا ينفي عنه انسراباً إلى نظام فني، يقتضي من قارئه بالضرورة اهتماماً بجملة من الانزياحات التي تلازم كلّ تحول من حالة إلى أخرى؛ ففي الأدب لا نكون فقط بإزاء أحداث أو وقائع خام، وإنما بإزاء أحداث تقدم لنا ضمن مستلزمات تعبيرية معينة (إبراهيم، 2005: ص 665، 666)، فالمؤلف يستثمر الخط العام لسيرة شخصياته التاريخية، ولكنه يشبع التفاصيل بمقتضيات التخيل وإملاءاته، فما تحكيه الرواية يشير بالضرورة إلى معنى خاص، مرتبط بهوية الشخصية الروائية، وبالأحداث التي تقوم بها أو التي تقع عليها، وأن ذلك يجري في مكان وزمن أو محيط بشري اجتماعي له خصوصية ما. فكما تقول يمنى العيد: " بدون سؤال الحقيقي، يبدو حقيقي الرواية أو حقيقي الفن سلطوياً مستبداً، وأحياناً مطلقاً" (العيد، 1998: ص26، 33).

ولعلنا لا نبالغ لو قلنا إن الشخصيات الروائية قد تكون واحدة من أبلغ وسائل التعبير عن الإنسان، ذلك الكائن المجهول، الذي سعت العديد من المعارف والعلوم ومنها علم النفس والأنثروبولوجيا للتعرف عليه (غوف، 2012: ص8،9). ويبدو بديهيا القول: إن الشخصيات التاريخية التي هي قيد الدراسة في رواية "النار والعنقاء" تمنح الجانب الروائي مزيدا من الواقعية، بسبب ارتباطها الوثيق بعالم مشيد قبليا، يقوم النص الأدبي اللفظي بإعادة تشكيله محملا بأبعاد إنسانية ووجدانية، يكتبها أديب يتجاوز عملية استنساخ الماضي(غوف،2012: ص16). الأمر الذي يقتضي روائيا يمتلك بالضرورة مهارات التفكير التاريخي، أو مهارة الاشتغال على نصوص تاريخية بذهنية نشطة تتوخى المعرفة بما حدث، فتفرز وتصنف، وتحتفظ بأمور وترمي أخرى، ثم تقوم بتحليل هذه المعرفة، واستنباط ما يحسن استنباطه مما قد ينير السلوك البشري الحاضر والقادم، بما يمكن احتسابه مجهودا نقديا كبيرا يتجاوز بكثير فكرة استعادة الأحداث السابقة (العروي،2017: ص323).

وإن كنا نقر بإمكانية فهم الأدب من خلال المجتمع، فإننا نقر بإمكانية فهم المجتمع انطلاقا من الأدب (غولدمان، 1986: ص64)، فالكلمة بالضرورة محملة بمضمون إيديولوجي أو واقعي، ولا استجابة إلا لكلمات لها علامة بالحياة (باختين، 1986: ص93) لذلك شكلت البيئة الخارجية تحدياً لشخصيات الرواية قيد الدراسة، وكان عليهم إما أن يغيروا من حدود علاقتهم بالعالم الخارجي، أو أن يبقوا على ما هم عليه. والعلاقة التي نعنيها هنا ليست مجرد تفاعل بين عوامل داخلية وأخرى خارجية، وإنما هي علاقة تفاعل لنمو جدلي لكل من الكائن الحي ووسطه، الأمر الذي يحتم ربط الشخصية بغيرها من شخصيات، يلعب بعضها دورا معيقا أو مساعدا لهذه الشخصية أو تلك(غوف، 2012: ص 119). علما أن حضور الشخصيات في الدراسة سيأخذ بعين الاعتبار تعدد ظهورها، ومكان ظهورها، مع تعاقبية تراتبية تعين على رصد التحولات، بما ينسجم وأهداف الدراسة.

ارتأت الدراسة أن طبيعة النص قيد الدرس تنسجم **والتاريخانية الجديدة New Historicism** التي ستوجه مسارات البحث وتقتاده باتجاه محاور معينة. ومن الجدير ذكره أنه أصبح شائعا ومتداولا في الدراسات الأدبية ونظرية الأدب في الغرب، وأنه يعد فرعا من فروع النقد الثقافي، بحكم هذا التشابه الكبير في مقارباتهما للتأويل الأدبي. وقد آثر رائد هذا النهج "ستيفن غرينبلات" عده ممارسة نقدية قادرة على عبور الحدود بين التاريخ والأنثروبولوجيا والفن والسياسة والأدب والاقتصاد، وهي الممارسة التي قبلها أصحاب النقد ما بعد البنيوي، ونظريات الخطاب، لتصبح مع الوقت مدرسة نظرية لها أسسها وتنظيراتها النقدية والفكرية، كذلك كانت لها أطروحاتها حول مفهوم التاريخ والتطور التاريخي، والثقافة وآليات قراءة وتأويل النصوص الأدبية (غرينبلات وآخرون، 2018: ص5، 6).

عودا للعلاقة التي تربط التاريخانية الجديدة بالنقد الثقافي، فإن لويس تايسون يرى أن التشابهات بينهما أكثر من اختلافاتهما، فكلاهما يعتقد أن الذاتية البشرية الفردية تتطور ضمن علاقة الأخذ والعطاء مع محيطها الثقافي، فنحن وإن كنا مقيدين داخل الحدود التي رسمتها لنا ثقافتنا، نبقى قادرين على مصارعة هذه الحدود وتحويلها. أضف إلى ذلك أن الحقلين يتداخلان معرفيا، لأنهما يستندان بشدة على المصادر الفلسفية نفسها، خصوصا على عمل الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو. هذا لا يلغي إمكانية وجود اختلاف مهم بينهما يكمن في اعتماد النقد الثقافي على نظريات سياسية بحكم ميله إلى أن يكون ذا توجه سياسي أكثر بكثير من التاريخانية الجديدة. لكن يبقى أن النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة في تحليلهما لعمليات الاضطهاد لا ينظران إلى الشعوب المضطهدة ضحايا عاجزة، وإنما ينظران إليها باعتبارها شعوبا قادرة على المقاومة والتصدي (تايسون، 2018: ص157، 158، 161).

1. مدارات تحولات الشخصيات: تمثلاتها والعوامل التي أفضت إليها

قبل الخوض في طبيعة العوامل التي تفضي إلى تحول الشخصيات في روايتنا قيد الدراسة، يبدو من الأهمية بمكان التذكير بأن الفنون كانت وما زالت بكل أنواعها ومنها الروايات تسعى للكشف ولو عن جزء بارز من جبل ثلجي يختفي جزؤه الأعظم تحت الماء؛ لأن الوصول لتفسير شامل حول الإنسان يعني بلوغ الإبداع نهايته، بل وإيقاف الإبداع نفسه، ذلك أن إدراك الشيء في كليته يعني انقضاءه(غوف، 2012، ص8-9). في البدء تطالعنا شخصيات الرواية بكثير من البياض الدلالي، ومن بعدها يجد القارئ نفسه وعلى نحو متدرج يستقبل جملة من التحولات المعنوية التي تساعده في فهم طبيعة هذه الشخصيات، وهو ما اقتضى تصيداً لكثير من النعوت والأوصاف المنسوبة إليها عبر مقياسين هامين وفقاً لفيليب هامون، وهما:

المقياس الكمي، بمعنى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة عن الشخصية، والمقياس النوعي، بمعنى مصدر تلك المعلومات عن الشخصية؛ هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق التعليقات التي تصدر عن الشخصيات الأخرى، أو من قبل المؤلف؟ (هامون، 1990: ص37).

انطلاقا من إدراكنا لحتمية تحول الشخصيات من صيغة إلى أخرى، فإننا نؤكد حاجة الدراسة إلى الإمساك بتغيرات تبدو معها القراءة سيرورة معقدة مبنية على تتبع تغير وجهات النظر غير المنفصلة عن قصدية تحريك فضول القارئ لمعرفة المزيد حول هوية شخصيات الرواية ونشاطها ودورها، والتي تبدأ بالتكشف شيئا فشيئا على طول الصفحات، بما يعني بالضرورة ندرة بقاء التلقي ثابتا حتى نهاية رواية تبني دلالاتها على التغييرات التي تحدثها في أبطالها(غوف، 2012: ص195). علما أن حديثا عن تحولات الشخصيات في النص الروائي يفضي إلى تحولاتها في الحياة الواقعية، فالتحول مرتبط بصورة الفكرة التي تحيا في الوعي الفردي دون أن تبقى ماكثة فيه لا تتعداه إلى غيره؛ فالفكرة تبدأ بالحياة وتتشكل وتتطور. تعثر على تعبيرها اللفظي وتجدده، وقد تموت تاركة الفسحة لأخرى جديدة تتخلق حين تقيم علاقات ديالوجية جوهرية مع غيرها من الأفكار التي تعود للآخرين، بمعنى أن الفكرة الإنسانية تصبح حقيقية حينما تقيم اتصالا حيا مع فكرة أخرى غيرية في وعي غيري معبر عنه بالكلمة (باختين، 1986: ص124).

يبقى أن التعامل مع كل شخصية لا يكون بمعزل عن عناصر أخرى تحيط بها، من مثل سياقات مكانية وزمانية، إضافة إلى شخصيات أخرى تحيط بها وتؤثر في تصرفاتها سلبا أو إيجابا. وهو ما يكون وسيلة الروائي التي يحرص عليها من أجل تقديم تفسيرات ضرورية في كل مرة يطرأ فيها على الشخصية تغيرات مفاجئة، تتراوح ما بين تناقضات، أو تحولات، أو تبدلات من حالة إلى أخرى تقف وراءها أسباب متعددة تؤكد أن دراسة الشخصيات تتطلب تعريفا بعوامل ومحددات خارجية تتفاعل مع تصورات الفرد الداخلية، التي تحدد سلوكيات الأفراد وتحركاتهم.

(التوصيف المكثف thick description):

ونقصد بالتوصيف المكثف عملية الانغماس في القضايا المنشغلة بالحياة الخاصة لشخصيات الرواية، الأمر الذي يأتي منسجما وتاريخانية جديدة تسعى إلى التعويض عما هو سائد في تاريخانية تقليدية تهمش الحياة الشخصية باعتبارها أمرا ذاتيا وغير ذات صلة (تايسون، 2018: ص145).

نبدأ في هذا السياق مع إبراهيم بن ختكان (أبو مسلم الخراساني) الذي كان له الدور الأكبر في قيام الدولة العباسية. نختصر مداراته بالقول إنه تحول من متعة أن يكون تلميذا لنبي إلى متعة أن يكون هو النبي؛ ففي البدايات ظهر منكرا لذاته، يجلس بتواضع جم بين قدمي المعلم، مع تحرز من إظهار أفكاره الخاصة. شيئا فشيئا ينتقل إلى لعب دور حارس للكنز العظيم الذي يشعر باعتزاز حمله بعده واجبا مقدسا وضرورة أخلاقية. في مرحلة قادمة نرقبه حاملا مشعل الهداية للناس، ساعيا وراء كسب أنصار للإمام ، إلى أن علا وتمكن واستقل بسلطة خاصة. والحال أنه كان متخفيا وراء برسونا متواضعة ظاهريا، إلى أن أتى عليه وقت الظهور في الواجهة، ليصبح فردا مستقلا بعد مسار لم يتردد أثناءه في استخدام أغراضه الأنانية، ملبسا إياها ثوب الصالح الاجتماعي الذي هو بمثابة (القناع/ البرسونا) الذي تختفي وراءه أناه الخاصة (يونغ، 2000: ص134، 150، 151).

غير بعيد عما قدمنا حول سيكولوجية داخلية تلعب دورا لا يستهان به في تحويل الشخصيات من مقام إلى آخر، يبرز ثالوث (العزيمة والإرداة والدهاء)، فها هو أبو مسلم الذي يظهر في البدايات غلاما بسيطا يقرأ كتب الأقدمين، ويعيش في غرفة لا شيء فيها سوى أقل القليل، نراه محاججا أبا النجم (فارسي من التجار الأثرياء) بعد أن راجعه معاتبا إياه حول جرأته في تتبع ابنته فيرد عليه قائلا:"**.. ولكن غلام السرّاجين لا يبقى غلاماً ولا سرّاجاً إن كانت له همّة عالية، وكان يطلب الغاية البعيدة. و أنا رجل قارئ.. و إني وإن كنت الآن فتى رقيق الحال، فإن ذلك من تداول الأيام.."** (سيف، 2021: ص51). وهي العزيمة التي تحدى فيها أبو مسلم مكانة اجتماعية جعلت نقباء خراسان يستخفون به في البدايات، ويتعاملون معه بوصفه غلاما من السراجين يتقن الخدمة وحسب، إلا أنه بإرادة قوية، وعبر حيل وأساليب عاطفية مدروسة، من مثل البكاء إظهارا لإخلاصه وصدق نواياه، وإبداء الملاحظات النبيهة المدهشة، يتمكن من الانتقال والتحول من لغة خادم مملوك بملامح متذللة، يزحف على ركبتيه، مقبلا قدمي الإمام، إلى حالة مذهلة من الصلابة والقوة. وهو القائل:"**من طلب أمراً تجهّز له بعدّته، إن كان قادراً.. وإلّا فليقنع من الدنيا بعمل السرّاجين**". (سيف، 2021: ص104). وهو ما يجسد اعتقادا لدى معظم التاريخيين الجدد بوجود علاقة متبادلة وثيقة بين الهوية الفردية والمحيط الثقافي من حولها، لذلك يغدو مقبولا القول: إن شخصية الخراساني هي نتاج إرادة فردية اشتبكت مع تشكلات اجتماعية معقدة (تايسون، 2018: ص 136).

في تناولها لشخصية عبد الرحمن الداخل، فإن الرواية تنفي اعتقادا بأن للإنسان جوهرا ثابتا، وتؤكد أنه نسبي متغير، فمرة نرى عبد الرحمن في مواقف يقسو فيها على بعض من أهله، فنكره ما يفعل من منطلق التعاطف مع الأكثر شقاء، لكن قسوة لمسناها فيه لا تلغي رقة وشعورا قويا بالحنين إلى شام لم تفارقه طوال وجوده في الأندلس، وكان يردد "**..نسيتني نفسي إن نسيت الشام..**". (سيف، 2021: ص311) ولا أدل على هذا من بنائه رصافة شبيهة برصافة_جده هشام؛ "**فإن لم يكن معاد إلى الشام، فلا معدى من أن نجلب الشام هنا!**"(سيف، 2021: ص311). مع ملاحظة إتيانه بنخلة من المغرب لتكون أول نخلة في الأندلس، ولتكون فوق هذا شبيهته في التغرب، يخاطبها ويبثها همه شاكيا حتى أنشد فيها: "**تبدّت لنا وسط الرصافةِ نخلة/ تناءت بأرض الغرب عن بلد النخلِ. فقلت شبيهي في التغرّب والنّوى/ وطول التنائي عن بنيَّ وعن أهلي. نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبة/فَمِثْلُك في الإقصاء والمنتأى مثلي**"(سيف، 2021: ص337).

(معايير اجتماعية ثقافية)

في البدء نطرح السؤال الآتي: هل أحكام الفرد وقيمه وإدراكاته للعالم واقتناعاته بما هو صواب أو خطأ هو من صنعه الخاص أو صنع الآخرين وتأثيرهم فيه؟ أو بعبارة أخرى: ما هو الدور الذي تلعبه العوامل الاجتماعية والحضارية في تشكيل الشخصية الإنسانية؟ (إبراهيم، 1985: ص159)

وهو السؤال الذي يستدعي مقارنة دقيقة بين مؤرخ قد ينأى في تأويلاته عن الموضوعية، وروائي ينحو في تأويلاته إلى منح العلاقة التبادلية بين الهوية الفردية والتشكلات الاجتماعية نصيبها من التحليل، بما يستوجب أسئلة من نوع: كيف يدعم أحدها الآخر؟ كيف يغيرها؟ ويستوجب تحليلا لمحددات ثقافية محتملة تقيد فكر الفرد وفعله، كما يكشف تفاوضا يكاد يكون حتميا بين الفرد والمؤسسات الإيديولوجية والسياسية من حوله (تايسون، 2018: ص135، 136، 137). وعليه فإننا نضع أيدينا في هذه الدراسة على رواية تتلمس آثارا ضاغطة لمعايير اجتماعية تؤطر سلوكيات الأفراد، وتحدد مواقفها داخل جماعة تحاول بشتى الطرق والوسائل فرض معاييرها على أفرادها، بل وإرغامهم على الانصياع لها. من هذا الباب سنجد في الرواية شخصيات تجسد ما يثبته العالم التركي مظفر شريف من أن الفرد يغير من أحكامه ومعياره الشخصي مجاراة لمعيار الجماعة، حتى في حالات يكون فيها معياره الشخصي مختلفا اختلافا كبيرا عن معيار الجماعة (إبراهيم، 1985: ص166- 168).

على رأس العوامل الثقافية المجتمعية التي لعبت دورا كبيرا في تشكيل شخصيات الرواية تحضر (الفئوية العنصرية) التي لمسناها بقوة مع أصحاب ثورة بني العباس على حكم بني أمية الذين طرحوا أنفسهم امتدادا لبيت النبوة وأنهم فوق عصبيات العرق والقبيلة. من هذا الباب لاقت هذه الثورة قبولا لدى الفرس الذين- وإن تقبلوا الإسلام- إلا أنهم لم يرضوا بالعرب الذين حملوا الإسلام إليهم بعد تقويض دولتهم. وكانوا يرون أنهم كانوا سادة هؤلاء العرب الجفاة، وأن من شأن دعوة بني العباس إخراجهم من هيمنة العرب، ومن ثم استرداد **"سلطانهم في دولة الإسلام بعد أن فقدوه بدولة الإسلام التي بدأها العرب وسادوهم بها"**(سيف، 2021: ص28). وهو الحقد الذي نبه إليه نصر بن سيار / والي خراسان حين حذر من أبي مسلم الخراساني المنتسب لقوم **"يكرهون العرب ويرجون بوارهم ويحنّون إلى مُلك الأكاسرة"** (سيف، 2021: ص211)، وهو ما تنقله عنه الرواية منذ كان فتيا يعمل في دكان أبي موسى السراج، يلعن الزمن وحظه الذي جعله مولى تابعا لرجل يراه دونه عقلا وموهبة وعلما، فنجده يتساءل عن أجداده محقرا لهم مغلبا أنهم "**قبل مائة عام أو يزيد، كانوا يرعون الإبل في صحراء نجد، حفاةً عراة، فإذا لم يجدوا ما يأكلونه قطعوا من سنام البعير حيّاً ليقتاتوا به، حين كان أجداده ملوك الأرض يرفلون في الدمقس والحرير!"** (سيف، 2021: ص38). بل وتراه يركن في جمع الناس في خراسان إلى عنصريتهم الفارسية الناقمة على بني أمية وعمالهم، **"وهم في ذلك طائفة واحدة فليس فيهم ما في العرب من قسمة القبائل وتناحرها"**(سيف، 2021: ص132).

إن كان الأعاجم في خراسان جماعة واحدة، فقد كان العرب فيها عصبا قبلية متفرقة، ما بين يمنية وربعية ينقمون على بني أمية؛ لأن الولاة قربوا القيسية واختصوهم بالمال والأعمال، وشطر من القيسية نقموا على بني أمية، لتظهر لنا الرواية في مواقف عديدة أن **"العرب قبائل لا تجتمع على رأي، وكل يطلب نصيبه، إن أعطي رضي، وإلا سخط، وحليف الأمس عدو اليوم"** (سيف، 2021: ص35). وهو الحال ذاته في أندلس كانت هي والمغرب تدينان بالولاء بالاسم لبني أمية لبعد المكان، إلا أن القبائل فيها ما بين قيسية ويمنية كانوا في حالة اقتتال مستمرة، ولم يكن قد مضى على فتح الأندلس غير تسع وعشرين سنة. وإن شئنا التدليل على استشراء هذه العصبية في الأندلس فأمامنا شخصية الصميل الذي ساد قومه القيسيّة، والذي كان يؤمن بأن**"وطن الرجل عصبته وقبيلته. إما أن يكون بها أو لا يكون". "كرامته من كرامتها، وعزّه من عزها، وشوكته من شوكتها. تصونه من ظلم السلطان، أو يكون له بها السلطان!"**(سيف، 2021: ص87). ولعل الحال يجسد ما نعرفه حول ولاءات جمعية لها معاييرها غير المنسجمة مع ما هو أخلاقي وديني، وهو ما عبر عنه عبد الرحمن الداخل في قوله: **" تالله ما الذي فعلناه بالإسلام الذي يُسوّي بين الأسود والأبيض، والعربي والأعجمي، ويذكّرنا أننا كلنا لآدم، وآدم من تراب؟ قُتِل الإنسان ما أكفره.. قتل الإنسان ما أكفره!** "(سيف، 2021: ص 465).

يدرك قارئ الرواية الأثر الكبير الذي خلفته الروح القبلية في نفوس شخصياتها المختلفة، والتي جعلت الناس يضيقون ذرعا بتبعاتها التي جنت على الإسلام والمسلمين، وباتت تشكل خطرا حقيقيا عليهم من أعداء الأمة والملة في شمال الجزيرة الذين اغتنموا حروب القيسية واليمنية وبدأوا بالتوسع في الشمال، وهو ما حرك عبد الرحمن الداخل وبعد مرور ستة وأربعين عاما على الفتح والعيش في الجزيرة باتجاه تنمية حس قوي بالانتماء إلى الرابطة الأندلسية الجامعة المانعة، فضلاً عن رابطة الإسلام التي وصلت بهم إلى هذه الديار، درءا لمصير يمكن أن يكون قاتماً، لا يفرّق بين يمني وقيسي، أو بين عربي وبربري ومُوَلّد.

(ليبيدو السلطة)

في هذه الرواية، يبرز(ليبيدو السلطة) محركا أساسيا في الاستثمار في الشخصية، فالتحويل الغيري حسب آنا فرويد ظاهرة سيكولوجية تمثلها صورة متخيلة في أن يعيش المرء وجودا لم يختبره من قبل، وهو ما تمثله شخصيات راغبة في فرض ذاتها في الحياة العمومية والسياسية، تدفعها إلى ذلك رغبات مكبوتة تشبعها الرواية تخييليا من خلال إبداع يظهر أبعادا رهيبة يقف وراءها الحلم بالعظمة(غوف، 2012: ص183- 186). وهو الحلم الذي يحققه أصحابه باستخدام سلطة الخطاب بما تنبه إليه نيتشه حين قال: **"الناس يقررون أولا ما يريدون، ثم يكيفون الوقائع بما يتناسب مع**

هدفهم... وبالتالي لا يجد الإنسان في الأشياء سوى ما أودعه فيها بنفسه" (سلدن، 1996: ص147). وعليه فإننا ونحن نستعرض خطاب الحالمين بالسلطة المتمسكين بها، لا نستطيع التحدث عن حقائق مطلقة أو معارف موضوعية. بل ويمكننا ملاحظة ما تعتريه الحوارات من تناصات دينية ذات سلطة حملت وظيفة حجاجية، وباتت مسوغا لحديث أو موقف، لذلك تستحضر شخصيات الرواية من آيات القرآن الكريم ما يتطابق مع أوصاف الحقيقة التي يقدمها صاحب الخطاب الذي تنتقل سلطته داخل عدد من الخطابات حفاظا على هيبته، ونراه يستمد ما يدعمه حتى من الخطاب الديني وفي ذهنه دعم الاعتقاد في الحق الإلهي، أو في محبة الإله للمجتمع التراتبي (تايسون، 2018: ص139).

تحضر السلطة في الرواية بنظام معقد من العلاقات المتشابكة وبخفاياها المتنوعة، والتي تدفع الرجال إلى الوقوع في الأخطاء، وربما تسمح بإهانة الآخرين، وفي بعض الأحيان يتولد عنها تعطيل القدرة على التفكير. حتى وإن كانت مسؤولية السلطة ترتكز على الحكم لضمان مصلحة الدولة ومواطنيها، فإن هذه المسؤولية الواقعة عليها تضمحل شيئا فشيئا لتحل محلها ذهنية متخشبة وعقل منغلق ينجم عنهما سياسة غير مجدية تضر بدلا من أن تخدم، فيها خداع كبير للذات، مع تجاهل العديد من المؤشرات التوعوية يرافقها تعال على التجارب. وهو ما تجسده بوضوح شخصية أبي مسلم الخراساني، حين أنجز نجاحا غير مألوف، فاكتسب المجد والتزكية، فبدأ بمعاملة الآخرين باحتقار وتقزز- بمن في ذلك زوجته- وظن أنه قادر على كل شيء. وما هي إلا فترة من زمن حتى تلبسه شعور بالثقة المطلقة التي قادته إلى سوء تقدير الواقع والوقوع في فخ الأخطاء. وأخيرا مواجهة العقاب الذي يقضي عليه (أوين، 2009: ص19).

نستحضره في البدايات حين كان يسأل مستنكرا عما جعل السادة فوقه، وليس لهم نصف عقله وعلمه، فيمتزج غضبه بالطموح، وحين كان يرى الأقدار تحمله إلى الإمام فوقر في نفسه أنه مقدّر للعمل العظيم، وأن الله قد اختاره من دون الناس ليكون صاحب الإمام. يقول في هذا الشأن: **"وكنت أنظر إلى الإمام في جلاله وهيبة قرابته من رسول الله، وعلمه وفقهه، فيقشعر بدني، وأتوّهم أني أرى هالة من نور تحيط به"** (سيف، 2021: ص474). وشيئا فشيئا صار همه طلب السلطان حتى غلب على طلب الآخرة، وأصبحت الدعوة مطيته إلى الدولة، ليكون طلب السلطان والحفاظ عليه عاملا قويا في الإعمال في القتل **"..هكذا حال السلطان. نصنعه ثم يصنعنا! وهو يلزمنا أن نفرّق بين القلب والسيف!"** (سيف، 2021: ص295).

تشدك في الرواية شخصية يوسف الفهري، نستحضرها هنا لأهمية ما ترصده من تحولات تصيب الشخصية الإنسانية بسبب إغراءات السلطة، فقد كان رجلا معتزلا في البيرة، لا شأن له في الحكم والسياسة."**لا.. لست أنا بالذي يصلح للإمارة، وليس لي مطمع فيها"** (سيف، 2021: ص170). وكان يردد: **"...حسبي من الدنيا أن أخرج منها كفافاً لا عليّ ولا لي، وأن أقضي بقية عمري في عبادة الله وتلاوة القرآن"** (سيف، 2021: ص170). بل إنه كان يقرع زوجته التي شجعته على الإمارة طمعا في القصور والخدم والحشم، وكان يقول لها: **"اعلمي أيتها المرأة أن الإمارة هي أيضاً نفاق وكذب وحروب وخصومات ومظالم وأطماع ومكائد ودسائس وفتن لا تنقطع"** (سيف، 2021: ص172). إلا أنه وبعد عزوفه عنها يتسلمها، ومن ثم يعود للاعتزال من جديد خوفا من مقتلة بين القيسية واليمنية، لكنه بعد أيام من عزلته في البيرة وجد نفسه تعاتبه في شأن اعتزاله، بل ووجد "**خياله ينصرف إلى صور الحياة في قصر الإمارة: الخدم والحشم والحرس والموكب الفخم وصالة الحكم مع الأعيان، ومائدة الطعام الضخمة مع الصميل والآخرين!**" (سيف، 2021: ص181). والحال أنه يعود إليها بعد أن نجح سرير الإمارة في أن ينفث سحره فيه وبات يردد: **"السلطان في القصر أو القبر!"** (سيف، 2021، ص579).

إذن يتغير الخطاب بتغير الأمكنة والأزمنة، ونحن إذ نردد كلمة الخطاب، فإننا نحيل إلى تعريف فوكو له من أنه الفعالية الإنسانية المركزية الذي يتغير مع الحقبة التاريخية، فما يمكن قوله أو فعله يتبدل بما يتماثل مع تحقيق مصلحة صاحب الخطاب (سلدن، 1996: ص148). ففي عالم يشهد صراع القوى والسلطات، يستخدم صاحب الخطاب استراتيجيات خاصة تؤمن له اكتساب السلطة، فيصبح بإمكاننا تعريف الخطاب بأنه هو العنف الذي نمارسه على الأشياء. بل ويصبح ادعاء الموضوعية أمرا زائفا، فما من خطابات صحيحة بإطلاق، بل هي خطابات ذات سلطة بهذه النسبة أو تلك. وبالتالي كان لا بد من ربط نظرية الخطاب بالصراعات السياسية والاجتماعية الواقعية، فما من خطاب يثبت على مر الزمن، بل هو سبب ونتيجة وتفنن في استخدام السلطة يستدعي تلاعبا بالمفاهيم (سلدن، 1996: ص150)، **"... فما يُعَدّ كذباً عند العامة هو خدعة الحرب وفطنة السياسة وحزم التدبير عند السلاطين. وهم أصحاب التأويل.. يتأولون آيات الله نفسها بما يو افق أغراضهم، فكيف بما سواها من الكلام والمعاني؟"** (سيف، 2021: ص375). لذلك تغدو القوة هي الحق، وهو ما استقر عليه رأي بدر في عبد الرحمن إذ يقول فيه: **"كلما كسب شيئاً من قوة السلطان، خسر شيئاً من نفسه وقلبه وروحه"** (سيف، 2021: ص647)، لذلك لم يعد عبد الرحمن ذلك الرجل الذي كان، أو الذي وعد نفسه أن يكون وهو يسعى إلى غايته، فنجده على سبيل المثال يتوقف عن مخالطة العامة خشية الغيلة، وتعظيماً لهيبة السلطان الرادعة، مخالفا بذلك عهدا كان قد قطعه على نفسه بمخالطتهم ومد الجسور بينه وبينهم.

ولنا أن نتصور الجهد الكبير الذي يبذله روائي يتجه نحو التاريخ وينخرط في قراءة مادة تزدحم بصراع الشخصيات وتناقضاتها التي تفرضها الاصطدامات بين القوى التاريخية السياسية والإيديولوجية، ومنها يتشكل نصه الإبداعي بخصوصية يحملها على المستوى الزمني الذي يكتب عنه

(غرينبلات، 2018: ص10)، لذلك تدفعنا الرواية إلى الاشتراك مع بدر في أسئلته التي ألحت عليه حين أدرك أن مكانته من عبد الرحمن تغيرت عما كانت عليه حين كان خادمه وصاحبه في رحلة فرار وحدت بينهما على اختلاف المنازل، فيصحبنا معه في رحلة تأملية نقارن معه صورة قديمة لعبد الرحمن مع أخرى جديدة، نراه فيها ينزل في خصمه أضعاف ما لقي منه، نكتشف بعدها علاقة وثيقة تربط مصير الشخصيات بمصير الثورات، ومعها تصير الفريسة المطرودة صائدا مفترسا، **"ويصير الخائف مخيفاً. وقد يأتي زمان تستوي فيه الضحية والجلّاد، حين تجد الضحية نفسها في حال تعيد معها سيرة جلادها في خصومها المستجدّين بعد أن تتمكّن، ثم تتذرع بالأسباب نفسها التي تذرّع بها جلادوها من قبل. وعندئذٍ، لا يفترق الخصوم إلا بقدر ما يتشابهون، وقد لا يجد أحدهما إلا أن يعذر الآخر، أو حتى يُعَظّمه"** (سيف، 2021: ص278)، بما يثبت أن الذات البشرية الفردية تتطور ضمن علاقة غاية في التعقيد مع محيطها الثقافي، تفتح باب التأويل واسعا قبالة الروائي والقارئ معا.

ومن هذا الباب تتباين الشخصيات في أطروحاتها وفي مواقفها، وهو ما بدا واضحا في تعددية سردية تنبئ عن روائي يعتقد أن آراء الشخصية تمثلها، ويتحلى بقدرة فائقة على صياغة حوار العصور السابقة، فتراه وقد اختبر المواقف وأصبح قادرا على مقارنتها في إطار أصوات تتراوح بين القوية والضعيفة (باختين، 1986: ص128). تحضر النبوءة مثالا قويا على ما نقول؛ ففي الرواية يحضر مرارا خبر نبوءة حول **"رجل من بني العباس ينتزع ملك بني أمية ويجعله فيه إلى يوم الدين، و أنه يقتل بني أمية مقتلة عظيمة حتى لا يبقي عليها أموي"** (سيف، 2021: ص13). وهي النبوءة التي ارتبطت بمسلمة بن عبد الملك، وهو عالم بالحدثان وهبه الله فراسة وحدسا جعلاه ينبئ بزوال مُلك بني أميّة، وبانحدار الرايات من المشرق لتملأ السهل والوادي، وبأن حفيد هشام منذور بمهمة إحياء ملك بني أمية في المغرب بعد زواله في المشرق.

وإذ تتعامل الرواية مع النبوءة باعتبارها جزءا مما ينتاب البشر في أوقات الشدة من رغبة في الخلاص يميلون أثناءها**"إلى اصطناع البشائر والأوهام حتى تصير عندهم بمثابة النبوءة المحققة بفردوس أرضي قادم ومهديّ مخلّص بعد انقطاع النبوءات"** (سيف، 2021: ص44)، إلا أنها في الوقت نفسه تربط مواقف شخصياتها من النبوءة بمقتضى أحوالها ومصالحها الخاصة. ولنبدأ بهشام بن عبد الملك الذي رآها نبوءة مشؤومة، تلتقي مع نبوءة شيعة آل البيت، وأن أخطر ما فيها **"ما تبعثه في نفوس الرجال من الطمع، فيجتهدون في تحقيقها اجتهاد المستيقن بها، المطمئنّ ببلوغها، وفي ذلك فساد عظيم، ودونه مَقاتل الرجال"** (سيف، 2021: ص7). لذلك كان يرفضها وينكرها ويتهم عقيدة صاحبها. ورغم محاولة تناسيها، إلا أنها كانت تعود إليه من جديد كلما وقع من أمر الدنيا ما ينذر بشر. بالنسبة للإمام محمد بن علي، فهي عنده تتفق وفكرة الإمام المنتظر التي تفضي إلى **"إظهار الدعوة وظهور الإمام، ليعتدل به ميزان الحكم، فيرفع الجور، ويقيم العدل، ويحكم بالقرآن والسنّة وسيرة الأئمة المهديين الراشدين، ويعامل الناس بالسويّة"** (سيف، 2021: ص49). علما أنه لم يجد بأسا في تكذيب النبوءة أثناء جلوسه مع الخليفة هشام، وجعلها من باب تحريض أمير المؤمنين عليهم، وأنها تدخل في كهانة هي من عمل الجاهلية، بل نجده يحدث بأن **"خبر الغيب لا يعلمه إلّا الله، وقد انقطع الوحي بعد رسول الله ﷺ"** (سيف، 2021: ص7).

أما أبو جعفر المنصور والعباس فهذا ما يقولانه: **"نحن أول من أفشى في الناس تلك النبوءات عن قيام دولتنا.. وقد فَعَلت فعلها وصدّقها كثير من الناس، بل ربما بعض بني أمية أنفسهم، فتحمّس بها من كان كارهاً لبني أمية، و انخذل بها من صدّقها منهم. أما في حكم الدين، فقد علمنا أن التنبؤ بالغيب حرام وكذب على الله الذي لا يعلم الغيب إلّا هو"** (سيف، 2021: ص441). علما أن نجاح النبوءة في شطرها الأول، خلق لديهما حالة قلق من أن تلهم عبد الرحمن أن يجتهد ليصيب غايته كما فعل بنو العباس، مع أنه(عبد الرحمن) كان يرى أن ما حققه في إعادة بناء دولة بني أمية في الأندلس هو من صدق العزيمة الذي يسبق النبوءة، فكان يقول: **"لم يكن مجرّد سعد سقط عليّ و أنا قاعد في فراشي... بل كان وراءه بذل النفس و اتصال الحركة وتدبير الليل والنهار"** (سيف، 2021: ص342). والرأي عنده **"أن الله إذا قضى لرجل أمراً هيّأ له أسبابه. وأول أسبابه العقل والقدرة والإرادة يركّبها الله فيه"** (سيف، 2021: ص371).

ننهي هذا المحور بالتأكيد أن قوة النشاط السردي تكمن في علاقة رصينة تربط الناتج بسلسلة من الأسباب المنطقية التي تسبقه، بما يفتح الباب للحديث عن أثر للشخصيات مؤسس على تصور محكم، فأن تكون للشخصية مصداقية يتعين أن يراها القارئ وقد نهضت من منطق سردي يتقاطع وملاحظات تودوروف حول ما يسميه (الحتمية النفسية) على شخصيات روائية تتغير بحسب الزمن، بحيث تجعل القارئ يسلم بعلاقات السبب والنتيجة بين القضايا المختلفة، فكل فعل للشخصية معلل، على نحو(x يغار من y) ولذلك فإن (x يزعج y)، ليظهر الكائن الروائي جزءا لا يتجزأ من حياة تتشابك فيها الأهواء والرغبات والأحاسيس (غوف، 2012: ص125-127).

2. الدور العاملي للشخصيات

لا يمكن للروائي أن يقدم صورة متكاملة حول أي من شخصياته خارج روابط تصلها بآخرين تحددها وتشيدها (غوف، 2012: ص41)، فالأنا تكشف عن ذاتها في علاقتها بالآخرين، وهو ما تبرزه مواجهات ممكنة بين الأبطال، ومنها يستبطن القارئ حقيقة الشخصيات. من هذا الباب نذكر فضل الإمام إبراهيم على أبي مسلم الخراساني الذي جعل منه القائم بأمر الدعاة في خراسان، فكانت تلك نقلته الكبرى من مرحلة المداراة والتجمل

إلى مرحلة الغطرسة والقوة، وهي النقلة التي استثارت سليمان بن كثير قبل أن ينصاع لها مكرها. وكان مع كل درجة يرتقي فيها أبو مسلم يزداد غيظا، مع إحساس عميق بخطر يأتي من رجل رآه قد صار قائدا مفرط القوة، حتى صار **"شخصه أكبر من مهمته، وغاية نفسه أعظم من غاية العامة"** (سيف، 2021: ص190). وكان أن حفظ أبو مسلم له موقفه منه، إلى يوم قتله فيه شر قتلة بعد أن صاح فيه قائلا: **"..ما كان ينبغي لك أن تسبّني وتحقّرني ثم ترميني بالدّواة حتى سال دمي. هذه أمور تورّث بغضاً لا يموت، وثأراً لا ينقضي.."** (سيف، 2021: ص327).

مع الوقت صار أبو مسلم أكثر تجبرا وإباحة لدم من حوله، وكان يقتل كل من شك في أمره عملا بنصيحة للإمام قال له فيها: **"فاقتل من شككت في أمره، ومن كان في أمره شبهة، ومن وقع في نفسك منه شيء، ولا تأخذك بهم رحمة. واجمع إليك العجم واستكثر منهم وعوِّل عليهم واستعن بهم في بعض عملك، واتخذ رسلك إليّ منهم..."** (سيف، 2021: ص155). بل بلغ به الحال إلى أن يقتل كبير النقباء أبا سلمة الخلال حين عاوده هواه القديم في آل بيت علي، والذي كان لنفسه بمثابة الأخ، بما يمكن احتسابه جرأة عمياء أورثت أبا مسلم أوهام القوة، وحركت من حوله ضده، على رأسهم أبو جعفر المنصور الذي قال فيه: "**وكذلك الصغار إذا كبروا فجأة وتجبّروا وانطاعت لهم رؤوس من كانوا من قبل يُحقِّرونهم.. فيحسبون ألّا أحد يقدر عليهم"** (سيف، 2021: ص186). فكانت نهايته على يديه بعد خطة محكمة دبرها ضده.

وإن كانت الدنيا كما يقول عبد الرحمن الداخل **"لها في إقبالها رجال تتّصل أسبابهم بأسبابها،...ولها في إدبارها رجال.. قد يحيي الله ببعضهم ما يميته ببعضهم"** (سيف، 2021: ص278)، فمعنى ذلك أن سيرة المرء لن تنقطع عن سيرة غيره، ولذلك فإن كل من عرفه وعرفهم كانوا ينسجون خيوطهم وخيوطه معاً، أو يكتبون ما يُمْلون أو يُملى عليهم من سيرته وسِيَرهم معاً. وهو ما يمكن التثبت منه من خلال أبرز الشخصيات التي عايشها عبد الرحمن الداخل، ومنهم جده هشام بن عبد الملك، الذي كان قد تعهده هو وسائر إخوته، والذي تعلم منه أن قدر الإنسان من أقدار الآخرين أيضا. بل ونراه قد عمل بوصيته في جعل الأندلس صورة من الشام.

في علاقته مع أخيه هشام، نرى أنه كان **"يعطف عليه أشدّ العطف؛ لأنه لم يرَ أباه، فأراد أن يكون له بمثابة الأب وإن لم يكن بينهما غير ست سنين، فألحقه ببيته، وأحبه كولده"** (سيف، 2021: ص272). لذلك تبقى حادثة قتل المسودة له أمام عينيه تلاحقه سنين طويلة، ذلك أنهما أعطيا الأمان معا، وكان على عبد الرحمن إما الرجوع أو أن يرى مصرع أخيه، فاختار المضي، وكان أن تودع منه قائلا: **"سامحني يا أخي.. سامحني.. ولكني أعلم أن أمانهم كاذب"** (سيف، 2021: ص38). وفي هذا المقام يبرع الروائي في تحقيق علاقة انفعالية بين الشخصيات والقارئ من خلال استحضار الحياة الباطنية لعبد الرحمن، والتي اقتضت الإحالة إلى أفكاره وأحاسيسه وأهوائه ومكامن قلقه، مما ترك انطباعا ثريا حول كوامن نفسه الداخلية من خلال حراك سيكولوجي معقد نقلته صور حلمية متشكلة داخل الجهاز النفسي، وهي صور قريبة جدا من صور ذهنية هي بمثابة ذهانات هلوسية في النظرية الفرويدية، تسمح بتوهم موضوع غائب إذا كان حضوره مرغوبا فيه بطاقة كافية (غوف، 2012: ص49).

قد يكون بدر في "النار والعنقاء" هو الشخصية الأهم في حياة عبد الرحمن. تذكر الرواية لقاءه الأول مع عبد الرحمن من خلال عبارة "سهمان وطائر واحد" وذلك في يوم أطلق فيه بدر سهمه، فاخترق جسد الطائر في الوقت ذاته الذي أصاب فيه سهم عبد الرحمن جسد الطائر نفسه. وهو ما شكل إشارة استباقية تخبرنا بمسارات طويلة تجمعهما معا:**"وربّ طائر يطير بجناحيه في فضاء الله في مكان ما من أرض الفرات، غير بعيد عن رصافة هشام، يوشك أن يلقى مصيره الآن، فيسهم بانقضاء أجله في التقاء مصيرين واجتماع سيرتين طويلتين لرجلين ليس بينهما جامع من العِرْق والمنزلة والسنّ والأصل!"** (سيف، 2021: ص214).

من بين المفاتيح التي تكشف أحوال الشخصيات علاقة لافتة بين البطل والبطل المضاد، بما يعد مقياسا لنوع الشخصية، وفي هذا السياق تحضر شخصية "أبو شجاع" الذي اجتمع وبدرا على خدمة الأمير في رحلته باتجاه الأندلس. فقد كان خلافا لبدر يصر على الحفاظ على تراتبية العلاقة بين الخادم والأمير، لذلك كان يفترض أن الأمير لا يشرب إلا من قربته الخاصة، ويصاب بالدهشة إذ يمدّ عبد الرحمن يده ويتناول قِرْبة بدر ويشرب منها ويردّها إليه، وكان كثير التبرم من مواقف تصدر عن بدر يرى فيها تجاوزا في علاقة الأمير بخادمه، بل وكان يرى **"أن بدرا قد عاش الوهم، فالسيد سيد والخادم خادم، فهي حظوظ قسمها الله....وكل ميسر لما خلق له**.."(سيف، 2021: ص158).

ننهي هذا المحور بالتذكير بفضيلة مبدع يمعن في الفحص والتأمل، ويصبح قادرا على وضع السرود التاريخية للجماعات المهمشة في الصدارة، بما يترتب عن هذا الأمر من تدعيم للمهمشين، ولفت الانتباه إلى تواريخهم. وهو ما تحيل إليه الرواية من خلال عبارة يعاتب فيها بدر عبد الرحمن حين نسي أن يذكره من بين الشخصيات التي كان لها دور كبير في حياته. **"قال بدر: ألم تنسَ واحدا يا سيدي؟ التفت إليه عبد الرحمن متسائلاً، ثم بدا كأنه تفطّن: نعم.... وبدر"**. فرد عليه بدر قائلا: **"إن كنت قد نسيت بهذه السرعة، فكيف بكتبة التاريخ والأخبار؟ ثم هزّ رأسه وابتسم ابتسامة باهتة وأردف: واصطحب معه خادمه بدرا"** (سيف، 2021: ص511) وهو التذكير الذي حملته على عاتقها تاريخانية جديدة تضمن التمثيل العادل للسرود التاريخية من كل الجماعات، خلافا لما **يسمى السرد المتغلب** master narrative الذي يروى من وجهة نظر ثقافة واحدة تتجرأ على تقديم النسخة الصحيحة والوحيدة للتاريخ وتتحكم في فهمنا له (تايسون، 2018: ص143،142).

3. الحضور الأنثوي في الرواية

يظهر وليد سيف صورة إيجابية للمرأة التي تظهر في نصه نبهة ذكية، وفوق هذا قادرة على أن تقاوم بعقلها وإرادتها نداء عواطفها المتدفقة الصادقة، بقدر مقاومتها للحاجز الاجتماعي الثقافي الذي يفصلها عن الحيز العام الذي يمتلكه الرجال، بغية الحصول على حقها، ليبقى لافتا في هذه الرواية هذا الحضور المتواتر لشخصيات نسائية، وفرت للرجل مصدراً من القوة يضاف إلى قوته.

وإن كان الحب مرادفا للموت في معظم أعمال الروائي، فإن وليد سيف في هذه الرواية يقدم لنا عملا ينسجم وقارئا يريد للحب أن يستمر تعويضاً عن ظلم الناس في الحياة. وهو الحب الذي دفع زينب للوقوف مع بدر في أصعب الأوقات حين دأب على الكتابة لعبد الرحمن متوسلا بعد ما لقيه منه من جفاء، فكان أن خاطبته بقوة غير مسبوقة قائلة: "**لا والله لا تكتب له بعد ولا تتوسّل إليه**"(سيف، 221: ص514). بل وبدت أكثر قناعة ببساطة الحال منه وكانت ترى أن الإنسان في قصر كان أو في غرفة وضيعة، فهو كما يصنع بنفسه. أما الأمير فهو "**في نفسه وهمّته وعزة نفسه ومناقبه**"(سيف، 2021: ص515) ، فكان أن استجاب لها راضيا بعاطفة حب منحته إياها امرأة تحولت من محتالة تنتقم من رجال طمعوا بها إلى أخرى أظهرت منطقا وحكمة بالغين.

أما جلنار زوج أبي مسلم الخراساني، فقد تراوحت مشاعرها تجاهه في البدايات ما بين الإعجاب والفخر والتودد، إلى أن بدا قلقها عليه يزداد شيئا فشيئا، بل وبدا لها ريحا عاصفة توشك أن تدمر كل شيء في طريقها. وكانت تبدي خوفا مما آل إليه حاله وتقول لأبيها: "**أكاد أقول ليته بقي سرّاجاً فقيراً وكان وديعاً فتزوجته على تلك الحال**" (سيف، 2021: ص270). بل وكانت تملك قدرة فائقة في فهم وتحليل ما أفضى إليه حاله وتحليله بالإحالة إلى "**...السلطان.. السلطان وفرط القوة.. كالخمرة لا ينتشي منها شاربها إلّا بقدر ما تغيّب عقله**" (سيف، 2021: ص331). وأكثر من هذا أن كلامها كان يضعفه؛ لأنه يرده إلى أصل فطرته قبل أن تغيره أحوال الزمان ومقتضيات السلطان.

نأت الرواية عن إظهار الذكورة معادلا للشدة قبالة أنوثة ترادف اللين والرقة والنعومة، بل نراها تقلب ما أريد للمرأة أن تكونه في مجتمع حدد لها مكانتها جارية للمتعة، وهو ما تجسده الفتاة السبية من جليقية، أو حلل الجارية التي رأيناها في مكان العرض والمساومة تدفع بقوة كل من يقترب منها بدعوى المعاينة، الساخطة على استرقاقها ولو انتهى بها الأمر إلى قصر الإمارة، الذي وجدت نفسها فيه تعاني الضرب والإهانة وتهمة بالسرقة بتدبير وإيعاز من ابن السيدة؛ لأنها تأبت عليه، إلى أن ينتهي بها الأمر هدية لعبد الرحمن الداخل الذي أرادها امرأة له، لتصبح هي"**سيدة القصر الذي ضُربت فيه وعُذِّبت وأُهينت على يد سيدته السابقة**" (سيف، 2021: ص287).

أما زوجة الفهري، فقد شهدناها وهي زوجة للأمير كل همها الإكثار من الحلي والجواهر الثمينة والثياب الفخمة المطرزة بخيوط الذهب، والوصائف والخدم وإلقاء الأوامر عليهم. "**وكانت تحب الخروج بنفسها في موكب فخم يحيط بها الحرس والخدم، لتنظر بنفسها في النفائس الثمينة، ويشهدها الناس في خيلائها**"(سيف، 2021: ص227). لكنها خلافا لزوجها الذي خطط ودبر لاستعادة سلطته بعد أن أصبح عبد الرحمن أميرا لقرطبة، نجدها تتقبل واقعا جديدا لم يهمها منه غير سلامة ولديها، فنراها تدخل على سيدة القصر التي كانت جاريتها ترجوها أن تتوسط لهما عند زوجها كي يفك أسرهما بعد أن صارا رهينتين عنده.

الكثير من المواقف في هذه الرواية تظهر انحيازا ملموسا للمرأة، نلمس فيه رؤية فكرية تعيد بناء التصورات بعيدا عن التشوهات الثقافية التي لاحقت المرأة عبر العصور، وتساعد على نبذ الأفكار الساذجة التي تقول: إن عقل المرأة أقل من عقل الرجل قدرة، وإن تفكيرها يغلب عليه العاطفة والانفعال، وإن أحكامها مندفعة متهورة، لذلك لم تكن أي من الشخصيات النسائية في الرواية لتنقصها الرؤية والتدبر، ورجاحة العقل التي تفوق الرجل في بعض الأحيان، وتمحو عنها ما يشاع من أنها كائن دوني. فها هي زينب تقلب بدرا على نفسه فيصغي لنصيحتها متخذا مما تقوله له واعظا يعيد إليه ذاته من جديد، وكذلك فعلت جلنار التي امتلكت سلطة الكلام وقدمت الحجة، وغسلت أصداء بطريركية من خلال لغة تحرك الوعي، ودفعت أبا مسلم للتفكير في التوبة، بما يمحو صورة نمطية متكررة محددة مسبقا ترسخ مفهوم الذكورة والأنوثة المرتكز على صفات تقليدية موروثة.

4. إشكالية العلاقة بين الراوي والروائي

إن كان الدارس لا يمكنه تجاهل المساحة التي تتخذها الشخصية في المتن الروائي، فإنه أيضا لا يسعه تجاهل شخصيات واصلة تعد دليلا على حضور من ينوب عن المؤلف في النص (هامون، 1990: ص24)، ومنهم راو ينصب نفسه في أكثر من موقع ليكون مصدرا للقصة التي يرويها، ويشكل أحيانا صورة للمؤلف أو سلطة تدفعنا كي نثق بحكمه وتأويله، بل وقد يصبح المؤول النهائي لمعناها(غوف، 2012: ص223) . وحول صورة الراوي ننقل عن إيكو ما يراه حول معلومات تبقى كميتها مرتهنة في وضع الثقة إلى حد ما فيمن يخبرنا، فلكي نصدق شيئا ما، يتعين وضع الثقة في شخص ما، وقد يكون الراوي هو ذلك الشخص الذي نثق فيه، خصوصا مع وقفات نجد فيها الروائي وقد أتاح له فسحة تقديم المعلومات والأحداث بما قد يرتفع في كمه ونوعه على ما هو ممنوح لشخصياته المحورية في المتن الروائي (غوف، 2012: ص223)، كما حين يقول في الرواية: "**ولكن الأحداث هنا وهناك**

كانت على الرغم من بُعد المسافة تتحالف وتتقاطع لتؤسس لملحمة عظيمة من ملاحم التاريخ، وسيرة لواحد من أبطاله الخالدين، وإن كان ما يزال الآن في مطلع الخامسة عشرة من عمره" (سيف، 2021: ص157).

ننوه هنا إلى ضرورة التمييز بين راو يحكي القصة وبين روائي يكتبها، فالراوي الذي يحكي ليس أبدا هو المؤلف، وإنما هو دور يبتكره المؤلف بوظيفة أساسية وهي الربط بين القارئ والشخصيات، وإن كان هذا لا يمنع التمييز بين راو يجلو ذاته بوضعية مستقلة إلى أن يصير شخصية قائمة بذاتها، وآخر يمتزج بصورة المؤلف، بل وقد يكون مطيته لاستدراج القراء نحو مواقف بعينها، فيعمد- على سبيل المثال- إلى تحميل الشخصيات على لسان الراوي أبعادا نفسية عاطفية تكون وسيلته للدفاع عن مواقف فكرية أو أخلاقية مختارة بعناية (غوف، 2012: ص25). كما حين نسمع صوته معلقا على بداية دولة بني العباس فيقول:"**ولسوف تتفتح عن حضارة عظيمة تضيء الدنيا بعلومها وآدابها وعمائرها وزهوها، وتشغل بذلك الناس عن أنهار الدم التي روت تربتها الأولى! وهكذا النار، لا تضيء حتى تحرق! حتى يدور الزمان دورته فتنطفئ جذوتها، ويذوق ورثتها من العذاب مثل ما أذاق آباؤهم البعيدون أعداءهم** "(سيف، 2021: ص207).

من هذا الباب تصبح للراوي وظيفة إيديولوجية تظهر من خلال أحكام عامة يصدرها عن الوجود أو العلاقات البشرية، وتتميز باللجوء إلى صيغة الزمن الحاضر التقريري، فالراوي البلزاكي يحب بشكل خاص إيقاف محكيه كي يخبر قارئه بوجهة نظره حول مشكلة اجتماعية أو قانون سيكولوجي، وربما يصدر تأويلا(غوف، 2012: ص52). وقد يلجأ الروائي إلى الراوي العليم كي يقدم الحياة الباطنية لشخصياته، في إطار محكي نفسي يعزز رابطة عاطفية بين القارئ وشخصيات الرواية، تتراوح ما بين الإعجاب أحيانا أو الشفقة، ولربما الاحتقار بما ينسجم مع مراد الروائي وقناعاته حول شخصياته (غوف، 2012: ص115-116)، فللروائي إجراءاته التي يستخدمها من أجل استمالة التعاطف مع شخصياته أو النفور منها، وكنا قد ذكرنا منها دورا يوكل للراوي من أجل إعلام القارئ بمن يحب أو من يكره، وهو ما يمكن له تحقيقه من خلال تشييد جمالي، أو إجراءات روائية لا تتطابق بالضرورة مع الشفرة التقليدية للأخلاق والحياة الاجتماعية (غوف، 2012: ص133-137).

وإن كان لنا أن نربط استجابة القارئ للشخصية سلبا أو إيجابا بمقدار ما يعرفنا عن هذه الشخصيات، في إطار قانون سيكولوجي يربط تعاطفنا بخصوص أحد ما تناسبيا مع ما نعرفه عنه (غوف، 2012: ص147)، فإننا نلاحظ أن الرواية قامت بتسخير الراوي في هذا الشأن من خلال الآتي:

- المحكي النفسي: ويقصد بذلك تحليل أفكار شخصية من قبل راو عليم يحلل ويبدي الرأي (غوف، 212: ص152). كما في هذا المقطع:"**ولكن إذلال بدر لم يتوقف عند عزله عن منصبه. فلم يمضِ وقت طويل حتى أمر عبد الرحمن بتجريده من ضياعه ودوره، بعد أن ضاق ذرعاً برسائله المتوالية التي يستعطفه بها، فلم تزده إلّا استيحاشاً منه وحنقاً**" (سيف، 2021: ص511).
- المونولوج المسردن: ويقصد به اللجوء إلى خطاب داخلي لشخصية ما يبثه راو في شكل أسلوب غير مباشر (غوف، 2012: ص152). كما في هذا المقطع: "**فقط لو أستطيع الوصول إليه.. ربما إذا رآني ذكر عهدي القديم معه، فرقّ قلبه وراجع نفسه**" (سيف، 2021: ص513).
- المونولوج المروي: ويقصد به الإيراد الحرفي لأفكار شخصية ما من خلال حوارها الداخلي (غوف، 2012: ص152). كما في هذا المقطع:" **أذاك الذي يقيم في منية الرصافة هو الفتى الذي قاسمته الطريق الطويل، والحلم البعيد؟ أهذه هي نهاية بدر؟ ألا يبقى من قصته وقصتي إلّا أن تروى سيرته دون سيرتي؟ وإلّا أن يقال: واصطحب معه خادمه بدراً! هل استدار الزمان على نفسه، فالأمير هو الأمير، والخادم هو الخادم؟" (سيف، 2021: ص511).**

إضافة إلى ما سبق، فإننا نجد الراوي ذلك المستشرف للآتي كما في قوله: "**وما كان لأحد أن يعلم في تلك الساعة أن هذين الطرفين اللذين تقاطعت طرقهما المتعاكسة بالقرب من رصافة هشام، بين مُقبِل عليها ومُدبِر عنها، وبين شباب مترف صارخ وكهولة متواضعة صامتة، هما في قابل الأيام إقبال الدهر وإدباره، ومعهما انهيار دولة وقيام أخرى!" (سيف، 2021: ص14).** كما نجده وقد سخر لتقديم **المعلومة التاريخية:** كما حين يقول:"**في الحميمة من أرض البلقاء كان الليل قد دخل حين أناخ الزائرون الثلاثة عيسهم في الساحة الترابية المحيطة ببيت الإمام، الذي يحجبه عن الأعين سور مرتفع من اللِّبن. وتلقاهم أبناؤه الثلاثة: إبراهيم، وعبد الله المكنّى أبا جعفر، وعبدالله المكنّى أبا العباس" (سيف، 2021: ص27).**

5. موقع الروائي من شخصياته

إن كانت شخصية الراوي واحدة من قنوات يستخدمها الروائي لتمرير فهمه وإدراكه، فمعنى هذا أن مبدع العالم الروائي لن يكون مجرد مشارك يمنح كل واحدة من شخصياته كلمتها الخاصة باستقلالية تامة. وهو ما يستدعي التفكير على النحو الآتي:

إن الإنسان فكرة، والفكرة هي القوة التي تحدد وعي الشخصية، ليصبح ما يقدمه الروائي في نهاية المطاف وصفا -لا لحياة البطل- بقدر ما هو وصف لحياة الفكرة داخل الوعي الفردي والاجتماعي. ومن هذا الباب تتعدد في الرواية أشكال من الوعي يجتهد الروائي في زرعها بنزعة استقلالية تكشف تصادم الشخصية مع الوسط الخارجي، ولربما تكشف العلاقة المتبادلة بين عقيدة المؤلف وعالم الأبطال. والحال أن الفكرة تشكل المادة

الرئيسية في بناء صور الأبطال، وهي تؤدي إلى انقسام العالم الروائي إلى عوالم الأبطال التي تبقى فيها الأفكار هي المتحكم بصياغتها النهائية(باختين، 1986: ص18، 33، 34).

في تتبعنا شخصيات الرواية لا يفوتنا الاستماع إلى جدال القوى التاريخية، التي تعكس أصوات عصور مضت من خلال طريقة تمثيلية حوارية تجسد مبدأ التقاء القصص التي يغني بعضها بعضا من خلال تضادها، ويرتبط بعضها ببعض وفق مبدأ تعدد الأصوات الموسيقي الذي يعكس تنوع الحياة وتعقد المعاناة البشرية، ليبدو كل شيء في الحياة ذا طبيعة طباقية يتحرك في إطار نزعة تعارضية حوارية تتسق مع معنى إبداعي يقوم على تعددية برامج هذا العالم وطابعه التناقضي (باختين، 1986: ص30، ص62). علما أن من شأن هذه التعددية الحيلولة دون أخذ الرواية نحو شيء من التشيؤ. نذكر من جديد أن هذا لا يعني البتة إلغاء حتمية الوقوع على أجزاء في الرواية تخرج من الخطة المتعددة الأصوات، وتقترب من وظيفة مونولوجية من شأنها كشف المنظور الخاص بالمؤلف، وخصوصا في نهايات أكثر من فصل يخرج فيها من الحديث مع شخصياته إلى الحديث عنهم، لتبدو الكلمة الأخيرة من نصيب المؤلف.

وفي هذا السياق لا بد من التأكيد على أن المؤلف مهما بلغت مهارته في إعادة تركيب وعيه من أجل أن يصبح قادرا على استيعاب أشكال وعي الآخرين، ومهما ظهر حرصه على أن يترك لكل من شخصياته المجال كي تبلغ أقصى درجات الإقناع، فإنه يستحيل عليه التنازل كلية عن نفسه ووعيه الخاصين (باختين، 1986:ص97، 98، 100)، فالروائي لا يكتب بمعزل عن ذاتية التحليل التاريخي، أو (تموضع الذات **self-positioning**)، بمعنى أن هناك بالضرورة انحيازا شخصيا تحركه مواقف سيكولوجية وإيديولوجية مرتبطة بالمادة التي يحللها، وهو ما يجري بالمثل على قراء لهم عدساتهم البشرية التي ينظرون إلى القضايا التاريخية عبرها (تايسون، 2018: ص147)، فلا شيء يمنع من أن يبدو المؤلف في بعض المواقف وكأنه ينظر إلى العالم بأعين شخصياته، بل ويمتزج صوته مع أصواتهم دون أن يبدو أي منهم على مستوى واحد مع كلمة المؤلف وحقيقة المؤلف (باختين، 1986: ص101، 102). ولنا في هذا الامتزاج المثال الآتي: **"وإذا كانت تهمة بني أمية أنهم عطّلوا الشورى، وجعلوها ملكاً خاصّاً يتوارثونه في سلالتهم، فما الذي يؤسّسه الآن بنو العباس لحكمهم وسلالتهم؛ إلّا أنهم يزيدون على الأمويّة بأن أضفوا على مُلكهم الجديد وسلالتهم سبباً متّصلاً بالسماء، فهو حق قطعه الله لهم وأورثهم إياه باعتبار النسب والقربى من النبي.....لا، لا شأن للدين في كل ذلك. إنما هو صراع المُلك والسيادة في المقام الأول، يتذرّع أصحابه بحجج الدين"** (سيف، 2021: ص318). ولكن هذا الحال لا ينبغي أن يكون رخصة مفتوحة لتحريف التاريخ وتزييفه قسرا وعلى نحو فج ليوافق آراء المؤلف وإيديولوجيته المسبقة. وهذا ما لم يقع فيه روائي آمن بأن التدافع في الأفكار والاجتهادات والتأويلات يبقى جزءا من الشرط الإنساني، ومن شأنه أن يعين على مقاربة الحقائق، وعلى الحد من طغيان الغلو والتعصب الإيديولوجي (سيف، 2021: موقع).

6. نتائج الدراسة

إن ما وقفنا عليه داخل الرواية من مهمات تدخل في إطار الفوز والغلبة والتعطش للتملك كانت كلها مادة مناسبة جدا لتحقيق خطة الروائي الفنية، ذلك أنها وضعت شخصياتها في مواقف تكشف عن دواخلها وتقلباتها حين تقترب مع الآخرين، وتتصادم معهم وسط ظروف معقدة تختبر الفكرة وإنسان الفكرة، بما يجعلها في الصميم من مغامرات قوامها تقلبات مستمرة تتماشى وتحولات أفكار يفاجأ فيها القارئ بما لم يكنه بطله من قبل (باختين، 1986: ص149، 152، 153) أضف إلى ما سبق أن مبدع النار والعنقاء -كما أظهرت الدراسة- كان معنيا بمخاطبة الذات الإنسانية أو استثارة عاطفتها، كما كان معنيا بتوفير سيرورة ذهنية منظمة مكونة من عمليات فكرية متناغمة، فرأيناه حريصا على ربط الأحداث بغرض التوصل إلى المنطق الذي تتحرك شخصياته في إطارها، بل ولاحظنا قدرة خاصة نجحت في توجيه القارئ باتجاه عقد المقارنات بين الشخصيات التي يطرحها في روايته.

من بين ما خلصت إليه الدراسة أن خيالا يطلقه الروائي بعناية، لم يكن ليتعارض مع مصادر أساسية وثانوية هي بمثابة أشكال سردية تعج بمعلومات تاريخية لا تخلو من استراتيجيات بلاغية هي بمثابة حيل أسلوبية، تدفع الروائي باتجاه تفكيكها لكشف حدود افتراضاتها الإيديولوجية، ومن ثم إماطة اللثام عن أجنداتها صراحة أو ضمنيا. وهو ما يشرحه وليد سيف في حوار معه يظهر فيه جهدا يبذله الروائي في استقصاء المادة التاريخية في مصادرها، والتعمق في فهم سياقاتها السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة قبل أن يشرع في المعالجة السردية والفنية، ليكون بذلك قد حول المادة التاريخية إلى عمل أدبي يتجاوز به خصوصية الزمان والمكان إلى خطاب إنساني وفني عام، يلامس الشرط الإنساني وينفتح على مستويات متجددة من القراءة والتأويل والتذوق عبر الأزمنة والأمكنة وأجيال القراء في بيئات وظروف مختلفة (سيف، 2021: موقع).

يبقى أن وليد سيف كتب روايته بعين الناقد المجاورة لعين الأديب، وأنه لم يكتف بطرح أسئلة المؤرخ التقليدي عما يقوله الحدث لنا عن التاريخ، فقد كان يعمد إلى تأويل الحدث، ومساعدة المتلقي على فهم ما يمكن أن تعنيه حقيقة دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس، وهي الحقيقة التي وجدت مكانها في "النار والعنقاء" داخل نسيج معقد من الإيديولوجيات المتنافسة، والأجندات المتصارعة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا في الزمان والمكان اللذين تتحرك فيهما أحداث الرواية. وكله يدخل في دائرة التأويل، بما في ذلك تأويلات الروائي نفسه التي تعكس-كما يوضح تايسون- فكر الكاتب المنغرس بقضايا معاصرة تهمه وتهم القارئ في زمنه (تايسون، 2018: ص133، 134).

المصادر والمراجع

إبراهيم، ع. (2005). موسوعة السرد العربي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

أوين، د. (2009). في المرض والقوة: عن متلازمة الغطرسة وأمراض زعماء الدول خلال السنوات ال100 الأخيرة. لبنان: جداول.

باختين، م. (1986). شعرية ديستويفسكي. **الدار البيضاء:** دار توبقال.

غولدمان، ل. (1986). البنيوية التكوينية والنقد الأدبي. (ط2). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

غوف، ف. (2012). أثر الشخصية في الرواية. التكوين للطباعة والنشر.

غوف، ف. (2012). شعرية الرواية. التكوين للطباعة والنشر.

سلدن، ر. (1996). النظرية الأدبية العاصرة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

سيف، و. (2021). النار والعنقاء. عمان: الأهلية للنشر.

عبد الستار، إ. (1985). الإنسان وعلم النفس. عالم المعرفة.

العروي، ع. (2017). مفهوم التاريخ: المفاهيم والأصول. (ط3). الدار لبيضاء: المركز الثقافي العربي.

غرينبلات، س.، منتروز، ل.، غالغر، ك.، لينتريشيا، ف.، وتايسون، ل. (2018). التاريخانية الجديدة والأدب. أحمامة، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.

العيد، ي. (1998). فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب. بيروت: دار الآداب.

هامون، ف. (1990). سيميولوجية الشخصيات الروائية. الرباط: دار الكلام.

يونغ، ك. (2000). البنية النفسية عند الإنسان. (ط2). اللاذقية: دار الحوار.

References

Abdul Sattar, I. (1985**).** Man and Psychology**.** The World of Knowledge

b Research Foundation.

Bakhtin, M. (1986**).** Problems of Dostoevsky's Poetics**.** Casablanca: Dar Toubkal.

Eid, J. (1998). The art of the Arabic novel between the specificity of the story and the distinctiveness of the speech. Beirut: Dar al-Adab.

Goldman, L. (1986). Formative Structuralism and Literary Criticism. (2nd ed.). Beirut: AraSelden, R. (1996). Contemporary Literary Theory. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Greenblatt, S., Mentrose, L., Gallagher, K., Lintricia, F., & Tyson, L. (2018). New Historicism and Literature. Casablanca: Cultural Center for Books.

Hamon, Ph. (1990). The Semiology of the Novel Characters. Rabat: Dar Al Kalam.

Ibrahim, P. (2005). Encyclopedia of Arabic Narrative. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

Jouf, F. (2012). The Impact of the Character on the Novel**.** Al-Tajween for Printing and Publishing.

Jouf, F. (2012**).** The Poetry of the Novel. Al-Tajween for Printing and Publishing.

Laroui, A. (2017). The Concept of History: Concepts and Origins**. (**3rd ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.

Owen, D. (2009). In Sickness and in Power: Illnesses in Heads Of Government During The Last 100 Years. Lebanon: Jawad.

Saif, R. (2021**).** The Fire and the Phoenix**.** Amman: Al-Ahliyya Publishing.

Saif, W. (2021**).** An interview with Walid Seif**.**

Young, C. (2000). The Psychological Structure of Humans. (2nd ed.). Lattakia: Dar Al-Hiwar.